

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكَرَامَ،

إِنَّ الْحَيَاةَ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهَا عَلَيْنَا هِيَ أَكْبَرُ نِعْمَةٍ أَكْرَمَنَا بِهَا. فِيمَا أَتَتْ بِهِ فَلَسَفَةُ الْمَادِيَّةِ مِنْ انْحِطَاطٍ ذَهْنِيٍّ وَضَلَالٍ فِكْرِيٍّ تَمَّ تَحْدِيدُ الْحَيَاةِ بِالْعُمُرِ - أَيُّ: بِالْمُدَّةِ الَّتِي يَقْضِيهَا الْإِنْسَانُ مِنْ وِلَادَتِهِ إِلَى مَوْتِهِ. وَلَكِنَّ الْحَقَّ أَنَّ الْعُمَرَ الَّتِي نَقْضِيهَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا جُزْءٌ بَسِيطٌ مِنْ حَيَاتِنَا. نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ نَرَى الْحَيَاةَ مُتَكَوِّنَةً مِنْ جُزْئَيْنِ مُتَكَامِلَيْنِ وَهُمَا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ.

يَا جَمَاعَتِي الْعَزِيزَةَ،

الدَّعَوَاتُ الْفِكْرِيَّةُ الْبَشَرِيَّةُ تَفْرِضُ عَلَيْنَا الْمَادِيَّةَ وَالْعِلْمَانِيَّةَ النَّانِ تُلْهِيَانِ الْإِنْسَانَ تَمَامًا عَنِ الْآخِرَةِ. كَذَلِكَ مَعَ أَنَّ الْإِيمَانَ بِالْآخِرَةِ مِنْ أَهَمِّ الْأَرْكَانِ الَّتِي تَجْعَلُ الْمُسْلِمَ مُسْلِمًا. وَإِذَا قَارَنَاهَا بِحَيَاةِ الدُّنْيَا فَلَسَوْفَ نَقُولُ عَنِ الْآخِرَةِ أَنَّهَا الْأَسَاسُ وَالْأَصْلُ. يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى حَقِيقَةَ الْحَيَاةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَيَقُولُ: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾¹ وَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَدِيثٍ يَلَائِمُ مَعْنَاهُ مَعَ هَذِهِ الْآيَةِ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَكَابٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»² فَعَلَى الْمُسْلِمِ بِالطَّبْعِ، أَنْ يَعْمَرَ الْأَرْضَ بِالْعَدَالَةِ وَالْبِرِّ. وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْجُهْدُ لِنَيْلِ رِضَا اللَّهِ وَالْفَوْزِ فِي الْآخِرَةِ الَّتِي لَا نِهَائِيَّةَ لَهَا.

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَفَاضِلَ،

إِنَّ الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ. فَعَلَيْنَا أَنْ نَهْتَمَّ بِحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ هَذَا الْجَانِبِ. غَيْرَ أَنَّ هَذَا الْإِهْتِمَامَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ سَبَبُهُ حَيَاةَ الْآخِرَةِ. الْعُمُرُ الَّتِي تُتِيحُ لَنَا الْمَعِيشَةَ أُعْطِيتْ فُرْصَةً لَنَا لِنَفُوزَ فِي الْآخِرَةِ.

وَفَوْقَ ذَلِكَ، إِذَا زَادَ اِهْتِمَامُنَا بِالدُّنْيَا عَلَى الْقَدَرِ الْمَطْلُوبِ سُنَّصِحُ ضَحَايَا لِحِرْصِنَا فَنَهْلِكُ. يَقُولُ يُونُسُ أَمْرَهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ الْأَنَاصِلِ: "مَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ، فَهَمُّهُ مِثْلُ الدُّنْيَا."
يَا جَمَاعَتِي الْكَرِيمَةَ،

شِفَاءُ فِكْرَةِ الْمَادِيَّةِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَهَمِّ الْأَسْبَابِ لِلْفَوْضَى فِي الْحَيَاةِ الْفَرْدِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ هُوَ أَنْ نَعْرِفَ أَنَّ حَيَاةَ الدُّنْيَا زَائِلَةٌ لَا مَحَالَةَ. يَقُولُ سَيِّدُنَا النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْأَمْرِ: «أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ»³ فَعَدَمُ النَّسِيَانِ بِحَقِيقَةِ الْمَوْتِ يَحْفَظُنَا مِنْ اخْتِنَاقِنَا بِهَمُّومِ الدُّنْيَا كَمَا أَنَّهُ يَحْتُنُّنَا عَلَى الْإِسْتِعْدَادِ لِلْآخِرَةِ بِفِعْلِ الْوَاجِبَاتِ الدِّينِيَّةِ. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ قَوْلِ الْكُفَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾⁴ عَلَيْنَا أَنْ نَسْتَعِدَّ لِلْيَوْمِ الْآخِرِ الَّذِي لَا يُفِيدُ فِيهِ النَّدَمَ شَيْئًا. فَمَنْ أَحَدِ جَوَانِبِ الْإِسْتِعْدَادِ لِلْمَوْتِ الَّذِي سَنَلَاقِيهِ حَتْمًا هُوَ أَنْ نَغَادِرَ الدُّنْيَا دُونَ حَمْلِ أَيِّ وَزْرِ عَلَى مَنْ خَلْفَنَا. فَمَنْ ثَمَّ نَفَهُمُ أَهْمِيَّةَ اشْتِرَاكِنَا بِالْعُضُويَّةِ وَوُجُودِ أَعْضَاءِ جُدُدٍ لِجَمْعِيَّةِ «عُقْبَى»⁵ لِلتَّعَاوُنِ فِي الْجَنَازَةِ الَّتِي تُمَثِّلُ قُوَّةَ تَعَاوُنِ الْمُسْلِمِينَ فِيمَا بَيْنَهُمْ. اللَّهُمَّ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، اجْعَلْنَا مِمَّنْ يُفْضَلُ الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا، وَيَعْمَلُ الصَّالِحَاتِ، وَمِمَّنْ يُجَاهِدُ لِإِظْهَارِ الْعَدْلِ وَالْبِرِّ عَلَى الدُّنْيَا. فَإِنَّ الْجُهْدَ مِنَّا وَالتَّوْفِيقَ مِنْكَ.



⁴ سورة الفجر: ٢٤

⁵ تنبيه: قد يختلف اسم الجمعية من بلد إلى بلد!

¹ سورة العنكبوت: ٦٤

² جامع الترمذي، الزهد، ٤٤، رقم الحديث (٢٣٧٧)

³ جامع الترمذي، الزهد، ٤، رقم الحديث (٢٣٠٧)